



رابطة العالم الإسلامي

الأمانة العامة

الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

التأثير والتأثر بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى (دراسة تاريخية)

إعداد

الدكتور أحمد عبد الحميد عبد الحق

مدير مركز الشرق للدراسات التاريخية والحضارية - مصر

مقدم إلى مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

الثقافة الإسلامية.. الأصول والمعاصرة

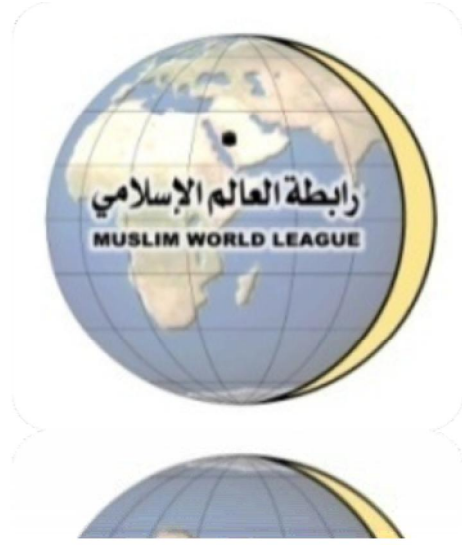
الذي تنظمه

رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة

٤-٦ / ذو الحجة / ١٤٣٥ هـ

٢٨-٣٠ / سبتمبر / ٢٠١٤ م



رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

صندوق البريد (٥٣٧) أو (٥٣٨) مكة المكرمة (٢١٩٥٥)

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٥٦٠٠٩١٩ - الفاكس: ٥٦٠١٣١٩-٥٦٠١٢٦٧

برقياً: رابطتة - مكة، تلكس: ٥٤٠٠٠٩ و ٥٤٠٣٩٠

www.themwl.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، ورضي الله عن آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد..

فإن أهم ما يميز الثقافة الإسلامية أنها تُنسب إلى الإسلام، رسالة الله الخاتمة للبشرية جمعاء على اختلاف ألوانها وأجناسها ولغاتها، وأسهم في تكوينها - ولا يزال - كل الشعوب التي انضوت تحت راية العالم الإسلامي، سواء أمنت بعقيدة الإسلام أم لم تؤمن، وانصهرت جميعها في بوتقة واحدة في ظل حكمه الذي استوعب الجميع تحت رايته دون تفریق أو انحياز لجنس على حساب آخر، وأتاح للجميع فرصة التفكير والإبداع والاختراع والإنتاج والتعبير عن أفكارهم في حرية كاملة، وكانت شاملة بشمولية تعاليم الإسلام وهدية، فلم تقتصر على فن من الفنون العلمية، وإنما اتسعت لتشمل كل الفنون والمعارف التي تخدم البشرية، فضلاً عن كونها أكثر ثقافات الأمم تأثيراً وتأثراً، فلا يوجد - حسب علمي - ثقافة في تاريخ الأمم قديمها وحديثها؛ تأثرت وأثرت في الثقافات الأخرى مثلها، وأكاد أجزم أنه لا توجد ثقافة استُحدثت بعد انتشار رسالة الإسلام؛ إلا وتأثرت بها، مهما كان حظ أهلها من البداوة والحضارة.

وهذا البحث أتناول فيه صوراً من هذا التأثير والتأثر الذي تم عبر العصور، والآثار الإيجابية والسلبية له، وقصدت من إعداده أن أزيل الحرج لدى بعض المسلمين الذين صار لديهم نفور شديد من ثقافات الآخرين التي لا غنى لنا عن

بعضها، في مقابل فريق آخر من المسلمين يرحب ويروج لتقل كل ما يتعلق بثقافة الغير، بَعْضُ النظر عن ملاءمتها لمعتقدنا وأخلاقنا أم لا، وأن أبيض أن المسلمين في العصور السابقة كانوا منفتحين على ثقافة الآخرين؛ مما ساعد على سرعة نهضتهم وتطورهم في زمن قياسي، وأن تمسكهم بتعاليم دينهم ومحافظةهم على سلامة ونقاء عقيدتهم؛ لم يمنعهم من الاستفادة مما عند الآخرين أياً كانت مِلَّتُهُمْ؛ لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

وأردتُ أن أبيض في المقابل أن المسلمين السابقين كما تأثروا بثقافة الآخرين في بناء نهضتهم؛ كان لثقافتهم أيضاً تأثير كبير على ثقافة الأمم الأخرى، وبخاصة الأمة الأوروبية التي كان لها النصيب الأكبر من النهضة والطفرة العلمية الحديثة، وأنه لولا هذا التأثير ما قامت تلك النهضة، أو على الأقل كما يقول مفكروهم: لتأخرت فترة طويلة.

وقد بدأته بتبيان ماهية الثقافة الإسلامية، وموقف الإسلام من ثقافة الآخرين وبداية التأثير بها، ثم تابعتُ الحديث عن مراحل هذا التأثير عبر العصور (النبوي والراشدي والأموي) والانفتاح الأوسع على ثقافة الآخرين في العصر العباسي وإيجابيات وسلبيات هذا الانفتاح، ثم تناولتُ بإيجاز تأثير الثقافة الإسلامية في الثقافات الأخرى داخل وخارج العالم الإسلامي، وختمتُ بالحديث عن تأثير وتأثر الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى في العصر الحديث والمعاصر.

والله أسأل أن يثيبني وكل من يسهم في نشره، وأن يجعله مع ما يقدمه سائر الباحثين والعلماء المسلمين؛ نبراساً لأمتنا.

ماهية الثقافة الإسلامية:

شاع لدى الكثيرين أن مفهوم الثقافة الإسلامية يقتصر على المعارف الدينية من فقه وتفسير وحديث وعقيدة وما إلى ذلك من علوم الدين، ولكن مفهوم الثقافة الإسلامية يتسع أكثر من ذلك ليشمل كل المعارف والفنون التي تخدم المسلمين وتُعلي من شأنهم على مستوى الفرد والجماعة والدولة، ولتأكيد ذلك علينا أن نقف أولاً عند معنى كلمة «الثقافة» في اللغة، ثم نسندها أو ننسبها للإسلام.

فالثقافة مشتقة من الفعل الثلاثي «ثقف» بمعنى «حذق» فالثَّقَفُ الحذق في إدراك الشيء وفعله، ومنه قولهم: رجل ثقف أي حاذق في إدراك الشيء وفعله، ويقال: ثقت كذا أي أدركت ببصرك لحذق في النظر^(١)، ورجل ثقف: رام راوي^(٢)، ورجل ثقف: أي ثابت المعرفة بما يُحتاج إليه^(٣) ورجل ثقف: يصيب علم ما يسمعه على استواء^(٤) وثقف العلم والصناعة: حذقهما، وثقف الشيء: أقام المَعْوَجَّ منه وسوّاه، وثقف الإنسان أدبَه وهذَّبه وعلمه^(٥)، وورد في لسان

(١) المناوي (محمد بن عبد الرؤوف): التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٢١ تحقيق: د. محمد رضوان الداية.

(٢) ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل): المحكم والمحيط الأعظم ج ٦ ص ٣٥٦ - تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

(٣) ابن الجزري (أبو السعادات المبارك بن محمد): النهاية في غريب الأثر ج ١ ص ٦٢٥ - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي.

(٤) ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس): معجم مقاييس اللغة ج ١ ص ٣٨٣ - تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

(٥) انظر: المعجم الوسيط: ج ١ ص ٩٨.

العرب: الثقافة سرعةُ التعلم^(١).

وبالتمعن في تلك التعريفات اللغوية السابقة؛ نستنتج أن الثقافة هي الحدق والمهارة في إدراك حقيقة الأشياء، وتحديد الهدف، وكثرة الرواية، ورسوخ الإنسان في كل ما يحتاج إليه، وسرعة التعلم، واستيعاب ما يسمعه، وفوق ذلك: تقويم الإنسان لنفسه وتأديبها وتهذيبها، وهذا يعني أربعة أمور:

الأول: أن الثقافة لا تقتصر على معرفة فن أو علم معين، وإنما سائر العلوم التي يحتاجها الإنسان، ولذلك أقر مجمع اللغة العربية في المعجم الوسيط؛ أن الثقافة هي كل «العلوم والمعارف والفنون التي يُطلب الحدق فيها»^(٢).

الثاني: أنه لا يكفي فيها الاطلاع على العلوم المختلفة أو حفظها وكثرة روايتها، وإنما تحتاج للتمعن والتفكير والتدبر فيها للوصول لحقيقتها ومداركها.

الثالث: أن الإلمام بالمعارف والعلوم المختلفة لا بد أن يلزمه تأديب وتهذيب وتقويم لسلوك الإنسان، وإذا كان هذا التأديب والتهذيب وفقاً لتعاليم الإسلام وهديه؛ تكون الثقافة إسلامية، ويكون من يتحلى بها يكون مثقفاً مسلماً.

الرابع: أن ثقافات الأمم تتفق في الأمر الأول والثاني، وتختلف في الأمر الثالث، حيث إن وسائل التربية والتهذيب والتأديب تنبع من معتقد كل أمة.

(١) ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب ج ٩ ص ١٩.

(٢) المعجم الوسيط: ج ١ ص ٩٨.

موقف الإسلام من ثقافة الآخرين وبداية التأثر بها:

من المُسَلَّم به أن الرسول محمد ﷺ قد بُعِثَ برسالته العالمية والبشرية قد قطعت شوطاً طويلاً في أمور المعاش والتطور وال عمران^(١)، وكوّنت تراثاً كبيراً مما هو جزء من رسالة الاستخلاف التي خلقت من أجلها^(٢)، وكان من رسالته ﷺ أن يُقَوِّم ما اعوجَّج من البشرية، ويكمل رسالة الأنبياء السابقين عليهم السلام، لأن يهدم ما كان قائماً، لذا لم يقف ﷺ موقف المعادي لهذا التراث إلا ما تعارض مع الإسلام، وندب للمسلمين أن يأخذوا من ثقافة الأمم التي ورثت هذا التراث مما هو نافع لهم، فقال ﷺ فيما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»^(٣).

قال السيوطي: «ضالة المؤمن»: أي: كأنه فقدتها وأضلها، إشارة إلى ما قيل: انظر إلى ما قيل ولا تنظر إلى من قال^(٤)، وقال المناوي: الحكمة ضالة المؤمن

(١) ونصوص القرآن الكريم صريحة في عدم معارضة مثل ذلكم العمران بل أثنت عليه، من ذلك ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وقوله عز وجل: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِجَانٍ كَالْجُؤَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وقوله: ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١].

(٣) الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى): الجامع الصحيح سنن الترمذي - ج ٥ ص ٥١ - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، وانظر أيضاً: ابن ماجه القزويني (أبو عبد الله محمد بن يزيد): سنن ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٩٥ - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(٤) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): شرح سنن ابن ماجه ص ٣٠٧.

يلتقطها حيث وجدها، ويغتنمها حيث ظفر بها^(١)، وقال الطيبي: (ضالة المؤمن) أي مطلوبه فلا يزال يطلبها كما يطلب الرجل ضالته (فحيث وجدها فهو أحق بها) أي بالعمل بها واتباعها، يعني أن كلمة الحكمة ربما نطق بها من ليس لها بأهل ثم رجعت إلى أهلها فهو أحق بها، كما أن صاحب الضالة لا ينظر إلى خسارة من وجدها عنده^(٢).

وذلك دليل على أن المسلم مباح له أن يتثقف ويتزود بالعلم النافع من أي إنسان مهما كانت ملته وجنسيته، ويؤكد ذلك رواية سعيد بن أبي بردة: «يأخذها حيث وجدها»^(٣) ورواية الشهاب: «حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه»^(٤)، بل ندب ﷺ إلى طلبها عند الآخرين بعزم وشغف، ففي رواية: «حيث وجدها جذبها»، يقول الطرطوشي: ولم يزل العقلاء على اختلاف مذاهبهم يطلبون صواب الرأي من كل أحد حتى الأمة الوكعاء^(٥).

ولقد بدأ النبي ﷺ في نشر مبادئ القراءة والكتابة (التي هي عماد الثقافة) بين المسلمين؛ عن طريق المشركين من أسرى «بدر»؛ قال السهيلي في كتاب «الروض الأنف»: «كان من الأسارى يوم بدر من يكتب، ولم يكن من الأنصار

(١) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ٦٩١.

(٢) المصدر السابق: ج ٥ ص ٨٣.

(٣) البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين): المدخل إلى السنن الكبرى ج ٢ ص ٢١٦ - تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي.

(٤) القضاعي (أبو عبد الله محمد بن سلامة): مسند الشهاب ج ١ ص ١١٨ - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي.

(٥) ابن الأزرق (محمد بن علي): بدائع السلك في طبائع الملوك ص ٦٦ تحقيق د. علي سامي النشار.

يومئذ أحدٌ يحسن الكتابة، فكان منهم مَنْ لا مال له، فيقبل منه أن يُعَلِّم عشرة من الغلمان الكتابة ويخلي سبيله، فيومئذٍ تعلّم الكتابة زيد بن ثابت في جماعة من غلمان الأنصار»^(١).

وقال الهورني في كتاب «المطالع النصرية في الأصول الخطية»: «لم تكثر الكتابة العربية في المدينة إلا بعد الهجرة النبوية بأكثر من سنة، وذلك أنه لما أسرت الأنصارُ سبعين رجلاً من صناديد قريش وغيرهم في غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة؛ جعلوا على كل واحد من الأسرى فداءً من المال، وعلى كل مَنْ عجز عن الافتداء بالمال؛ أن يُعَلِّم الكتابة لغيره من صبيان المدينة، فلا يطلقونهم إلا بعد تعليمهم، فبذلك كثرت فيهم الكتابة، وصارت تنتشر في كل ناحية فتحها الإسلام في حياته ﷺ وبعده، حتى بلغت عدة كتّابه ﷺ ٤٢ رجلاً»^(٢).

كما طلب النبي ﷺ من زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يتعلّم السريانية التي كانت تُكتب بها التوراة وقتها، فتعلمها في بضعة عشر يوماً، ففي صحيح ابن حبان عن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أُتْحَسِن السريانية؟ قلتُ: لا، قال: «فَتَعَلَّمَهَا فَإِنَّهُ تَأْتِنَا كِتَابٌ»، قال: فتعلمتها في سبعة عشر يوماً»^(٣).

(١) السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله): الروض الأنف في شرح السيرة النبوية جـ ٣ ص ١٣٢.

(٢) الهوريني (أبو الوفاء نصر يونس الوفائي): مطالع النصرية في الأصول الخطية ص ١٣ وما بعدها.

(٣) ابن حبان (محمد بن حبان التميمي): صحيح ابن حبان جـ ١٦ ص ٨٤ - تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

كما شجع ﷺ أصحابه على الاستفادة من خبرة الآخرين وثقافتهم في مجال الصناعة، فقد ذكر الكتّاني في كتابه «التراتب الإدارية» أنه سُبي يومَ خيبر ثلاثون قيناً (صانعاً)، فقال ﷺ: «اتركوهم بين المسلمين، ينتفعون بصناعتهم، ويتقوون بها على جهاد عدوهم، فتركوا لذلك، فمن تعلم عليهم الصناعة سُمي صانعاً أو معلماً»^(١).

ولم يقتصر أمر الإباحة على أمور المعاش فقط، وإنما تعدى إلى أمور الدين؛ شريطة ألا يؤخذ على مبدأ اليقين، أو يدخل في الأحكام الشرعية، أو يُعمل به في أمور الحرام والحلال، ولا يتعارض مع نصوص القرآن والسنة الصحيحة^(٢)، يؤيد ذلك قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدثوا عني ولا تكذبوا عليّ»^(٣).

واستناداً إلى هذا الحديث؛ توسّع كثير من الرواة السابقين في النقل عن أهل الكتاب فيما يخص الأمم السابقة؛ ولكنّ توسّعهم وصل في بعض الأحيان إلى حد الإفراط غير المحمود، ونقل أخبار كثيرة تتنافى مع العقل والنقل، ومن شاء فليراجع الجزء الأول من تاريخ الطبري، أو البداية والنهاية لابن كثير، أو الكامل لابن الأثير، وغيرها من كتب التاريخ، فسيجد عشرات الروايات التي نُقلت عن

(١) محمد عبد الحي الكتّاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية: ج ٢ ص ٧٥ - تحقيق: عبد الله الخالدي.

(٢) زاد بعض العلماء: أن يكون ما نُقل عنهم متواتراً، يقول سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي: جاز لأننا نعلم بخبر الكفار إذا تواتر، كما نعلم بخبر المؤمنين. انظر: ابن عادل الدمشقي (أبو حفص عمر بن علي): اللباب في علوم الكتاب ج ١٣ ص ٤٥٣ - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود.

(٣) الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس): مسند الشافعي - دار الكتب العلمية ص: ٢٤٠.

هؤلاء الرواة ولا يُعتد بها، وقد سُميت مجازاً بـ «الإسرائيليات»^(١).

وغدا المسلمون بعد تأسيس دولتهم واتساعها؛ يلتمسون ما يحتاجون إليه من أمور المعاش عند غيرهم، بدايةً من عصر عمر الفاروق رضي الله عنه حيث طلب من عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يستفيد من خبرة المصريين في مجالي الزراعة وال عمران، فقد ذكر ابن عبد الحكم عن هشام بن إسحاق العامري قال: كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يسأل المقوقس عن مصر من أين تأتي عمارتها وخرابها، فسأله عمرو، فقال له المقوقس: «تأتي عمارتها وخرابها من وجوه خمسة، الأول: أن يستخرج خراجها في إبان واحد عند فروع أهلها من زروع، ويرفع خراجها في إبان واحد عند فراغ أهلها من عصر كرومها، ويحفر في كل سنة خليجها، ويسدُّ ترعها وجسورها...»^(٢).

كما أنه رضي الله عنه قد أخذ من العجم فكرة الديوان، ففي كتاب الأحكام السلطانية للماوردي أن أبا هريرة رضي الله عنه قدم بمالٍ من البحرين، فصعد عمر رضي الله عنه المنبر، وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كإننا لكم كيلاً، وإن شئتم عددناه لكم عدًّا» فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيتُ الأعاجم يُدَوِّنون لهم ديواناً، فدوّن أنت ديواناً، فاستشار عمر رضي الله عنه الناس في تدوين الديوان، فقال عثمان رضي الله عنه: «أرى مالا كثيراً يسع الناس، وإن لم يُحصوا حتى يُعلم من أخذ ممن لم يأخذ؛ خشيتُ أن يتتشر

(١) والإسراف في نقل تلك الإسرائيليات يخالف المقياس الذي وضعه النبي صلى الله عليه وسلم في النقل عن الآخرين، وهو كون هذا الكلام المنقول نافعاً حكيماً، حيث وصفه صلى الله عليه وسلم بالحكمة في قوله: «الكلمة الحكمة».

(٢) ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله): فتوح مصر وأخبارها ص ١٧٦ - تحقيق: محمد الحجيري.

الأمر»^(١)، وفي رواية للقلقشندي: «فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: قد كنت بالشام فرأيت مملوكها دونوا ديواناً وجندوا جنوداً، فدوّن ديواناً وجند جنوداً، فأخذ بقوله»^(٢).

ولم يقتصر الأمر في الدواوين على اقتباس الفكرة فقط؛ وإنما أخذ المسلمون فيما بعد الأنظمة المتبعة فيه، ولسعة أفقهم؛ فإنهم أخذوا من كل ولاية النظام المتبع فيها، فأخذوا في العراق بنظام الفرس، وفي الشام بنظام الروم، وفي مصر بالنظام القبطي، وظل الأمر هكذا حتى وُحِّدَت في عهد عبد الملك بن مروان فيما عُرف بتعريب الدواوين، فنقل ديوان العراق من الفارسية إلى العربية: الحجاج بن يوسف في خلافة عبد الملك بن مروان، ونقل ديوان الشام من الرومية إلى العربية: «عبد الملك بن مروان، ونقل ديوان مصر من القبطية إلى العربية: عبد العزيز بن مروان»^(٣).

كما نقل عمر رضي الله عنه الوسائل التي كان يتبعها الفرس في نظام الزراعة وتقسيم الأراضي وطرق الجباية^(٤)، كما اقتبس رضي الله عنه نظام البريد من الفرس^(٥)، وطوره من بعده معاوية رضي الله عنه^(٦).

(١) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد): الأحكام السلطانية ص ٣٩٧.

(٢) القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشا ج ١٣ ص ١١٤ تحقيق: د. يوسف علي طويل.

(٣) المصدر السابق: ج ١ ص ٤٨٢.

(٤) انظر: الماوردي: الأحكام السلطانية ١ ص ٣٥٦، وابن رجب (عبد الرحمن بن أحمد): الاستخراج لأحكام الخراج ص ١٦.

(٥) محمد عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة ج ١ ص ١٩٢.

(٦) القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة ج ١ ص ٥١٧ - تحقيق: عبد الستار أحمد فراج.

وفي العصر الأموي ظهرت بوادر ترجمة الكتب العلمية التي يحتاجها المسلمون، وقد بدأت بصورة اجتهادية من خالد بن يزيد بن معاوية، حيث كان شغوفاً بمطالعة علوم السابقين، فأمر بإحضار جماعة من المطلعين على مصنفات فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مصر.. وأمرهم بنقل ما يستطيعون من الكتب من اللغة اليونانية واللغة القبطية إلى العربية، فترجموا له بعض كتب الكيمياء والتنجيم والطب اليونانية والقبطية^(١)، وكان هذا كما يقول ابن النديم: أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة^(٢)، ثم أخذت الترجمة طابعاً رسمياً في عهد عمر بن عبد العزيز الذي سعى لنشر الثقافة الطبية بين المسلمين، فأمر الطبيب اليهودي ماسرجويه (ماسرجيس) بترجمة بعض الكتب الطبية؛ ككتاب «أهرن القس» الذي نقله من السريانية إلى العربية، واطلع عليه عمر بنفسه، وأوصى بنسخه وتوزيعه لتعم به الفائدة على المسلمين^(٣).

(١) الهاشمي (أحمد بن إبراهيم): جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب ص ٣١٧.

(٢) ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق): الفهرست ص ٣٠٣.

(٣) انظر: القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف): إخبار العلماء بأخبار الحكماء

الانفتاح الأوسع على ثقافة الآخرين في العصر العباسي^(١):

كان تأثر الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى في العصور السابقة - رغم كل ما رأينا له من دلائل - محدوداً بالقياس إلى ما حصل في العصر العباسي، إذ انفتحت الثقافة الإسلامية على غيرها من الثقافات إلى أبعد الحدود، وبخاصة بعد تأسيس أبي جعفر المنصور^(٢) لمكتبة بيت الحكمة ببغداد، والتي مثَّلت - بحق - سعة أفق المسلمين واتساع ثقافتهم وانفتاحهم على الآخرين من أصحاب الديانات الأخرى، ليس في مجال النقل عنهم فحسب؛ وإنما في مشاركتهم الفعالة في تعريب كتب السابقين، حيث استقطبت تلك المكتبة كثيراً منهم ممن كان لهم دور كبير في ترجمة كتب التراث القديم في مجالات الفنون المختلفة من هندسة وطب وصيدلة وفلك ورياضيات وأرصاد جوية وفلسفة ومنطق.

(١) يربط المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون بين هذا الانفتاح الواسع على ثقافة الآخرين وحركة الفتوح الإسلامية؛ فيقول: «ولم يلبث العرب بعد خروجهم من صحارى جزيرتهم أن وجدوا أنفسهم أمام ما بهرهم من آثار الحضارة الإغريقية اللاتينية، وأن أدركوا تفوقها الثقافي كما كانوا قد أدركوا تفوقها الحربي، فجدوا ليكونوا على مستواها من فورهم». غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٦٣١ - ترجمة عادل زعير.

(٢) وقد قال عنه المسعودي: «وهو أول خليفة ترجمت له الكتب من اللغات العجمية إلى العربية، منها: كتاب كليلة ودمنة، وكتاب السندهند، وترجمت له كتب أرسطاطاليس من المنطقيات وغيرها، وترجم له كتاب المجسطي لبطليموس، وكتاب الأرتماطقي، وكتاب إقليدس، وسائر الكتب القديمة من اليونانية، والرومية، والفهلوية، والفارسية، والسريانية، وأخرجت إلى الناس، فنظروا فيها، وتعلقوا إلى علمها،.. وقد نظر في العلم، وقرأ المذاهب، وارتاض في الآراء، ووقف على النحل، وكتب الحديث، فكثرت في أيامه روايات الناس، واتسعت عليهم علومهم». انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ٢ ص ١٧٢.

وشاركوا في شروحاتها جنباً إلى جنب مع نظرائهم من علماء المسلمين، وشجعهم على ذلك جو الحرية الذي أتاحه الإسلام للجميع، ورفع الأثقال التي كانت على الناس^(١)، وكثرة العطايا التي كانت تنهال على العلماء من الخلفاء والأمراء والكبراء، هذه العطايا التي كانت تُمنح لكل من يشارك في مجال التأليف العلمي والابتكار؛ دون النظر لجنسيته أو ديانته، حيث كان من هؤلاء: الصابئ والمجوسي واليهودي والنصراني.

ولم يكن الخلفاء ينتظرون حتى يتوافد هؤلاء العلماء على قصورهم المفتوحة لهم، وإنما شرعوا في دعوتهم من سائر الأقطار التي دخلت في حِمى الدولة الإسلامية، كالعراق والشام وفارس ومصر والهند وإفريقيا والأندلس، فيحضرون إليهم مكرمين؛ حتى قيل: كان في بغداد وحدها؛ مائة مترجم ينقلون كتب اليونان إلى اللغة العربية والسريانية..^(٢).

(١) وفي ذلك يقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون: «ولم يتقيد العرب في دراسة الحضارة التي واجهتهم فجأةً بمثل التقاليد التي أثقلت كاهل البيزنطيين منذ زمن طويل، فكانت هذه الحرية من أسباب تقدمهم السريع» انظر: حضارة العرب ص ٦٣١.

(٢) من هؤلاء وفد الهند الشهير الذي قدم في خلافة المنصور العباسي في منتصف القرن الثاني الهجري، وكان فيه رجل ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها وسائر أعمالها، فأمره المنصور بنقل الكتاب إلى اللغة العربية، ليتخذ العرب أصلاً في حساب حركات الكواكب، وظل العرب يعملون به إلى أيام المأمون؛ إذ نُقل إليهم كتاب بطليموس في الحساب والجداول الفلكية المسمى المجسطي فعملوا به. انظر د / شوقي ضيف: تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - مجلد ٢٤٧ ص ١.

ومن هؤلاء العلماء غير المسلمين:

- يوحنا بن ماسويه النصراني السرياني (ت ٢٤٣ هـ = ٨٥٧ م)، الذي جعله الرشيدُ مشرفاً على ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وُجدت بأنقرة وعمُورية وسائر بلاد الروم التي افتتحها المسلمون، ورتّب له كُتّاباً حُذّاقاً يكتبون بين يديه، وجعل له فريقاً من النّساخين المَهرة والمجلدين والمزخرفين يعملون معه^(١).
- حنين بن إسحاق النصراني (٨٠٩ م - ٨٧٣) الذي أرسله المأمون على رأس بعثة علمية استكشافية إلى بلاد الروم؛ لتتولى بنفسها التنقيب عن الكتب في المعابد والأديرة والكنائس والقصور القديمة، ولم تقتصر جهود تلك البعثة على التنقيب في بلاد الروم فقط، وإنما تجولت في البلدان التي خضعت لسلطة الخلافة أو التي كانت تربطها بها علاقاتُ تعاون^(٢)، واجتمعت بجهود تلك البعثة في عاصمة الخلافة العباسية؛ أهم كتب علماء الأمم السابقة في مختلف الفروع من طب ورياضيات وفلكيات... وطائفة من الكتب العلمية والحكّمية الفارسية والهندية والسريانية...^(٣).
- يوحنا بن ماسويه الذي كان له دور كبير في مجال الطب وازدهاره عند المسلمين^(٤).

(١) القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٦٣.

(٢) انظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٠٤.

(٣) د / محمد السيد علي بلاسي: تاريخ العلم عند المسلمين، بحث منشور بمجلة التاريخ العربي المغربية، ص ٧٦١٤.

(٤) القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٦٣.

- علي بن ربن الطبري الذي قال عنه ابن القفطي: «كان متميزاً في الطب،.. وقد أسلم على يد المعتصم فقربه إليه، وهو من علم الرازي صناعة الطب»^(١)، ووضع المبادئ العامة للطب، وقواعد الحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض^(٢).

- أبو الخير الطيب الحسن بن سوار النصراني، المعروف بابن الخمار (ولد سنة ٣٨١هـ)، قال عنه الصفدي: «كان عالماً بأصول صناعة الطب، ماهراً في العلوم الحكيمة، خبيراً بالنقل من السرياني إلى العربي»^(٣).

- أبو علي يحيى بن جزلة (ت ٤٩٣هـ)، كان طبيباً ملازماً للمقتدي، وصنّف له كثيراً من الكتب الطبية^(٤).

- هبة الله بن زين بن حسن بن إفرائيم النصراني الملقب بشمس الرياسة، قال عنه الصفدي: «كان مفنناً في العلوم، جيد المعرفة، كثير الاجتهاد في الطب، حسن المعالجة، جيد التصنيف، وكان له نظر في العربية، وتحقيق الألفاظ اللغوية، لا يُقرئ في الطب إلا وكتاب الصّحاح للجوهري عنده حاضر، إذا مرّت كلمة لم يعرفها؛ حققها منه»^(٥).

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٤. وعمر رضا كحالة: معجم المؤلفين: ج ٧ ص ١٠٦ - وابن سينا

(أبو علي الحسين بن علي): القانون في الطب: ج ٦ ص ٢٩٧ - تحقيق محمد أمين الضناوي.

(٢) حليلة الغراري: بناء الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية ج ٤ ص ١.

(٣) الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك): الوافي بالوفيات ج ٤ ص ١٤٢ - تحقيق: أحمد

الأرناؤوط وتركي مصطفى.

(٤) ابن خلّكان (شمس الدين أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ج ٦ ص ٢٦٧ -

تحقيق: إحسان عباس.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات: ج ٧ ص ٣٩١.

- ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرّة الصابئ الحُراني، كان بارعاً في علم الطب والفلسفة والهندسة والفلك، وله مصنفات كثيرة في التعليمات الرياضية والطب والمنطق^(١).

- محمد بن جابر بن سنان الحراني الصابئ المعروف بالبثاني (ت ٣١٧هـ) اشتهر بالأعمال العجيبة والأرصاء المتقنة، وكان أوحد عصره في فنه، وبلغت شهرته الآفاق، وسمّوه في الغرب: «Albategni» أو Albatenuis^(٢)، وقال عنه ول ديورانت: «ارتقى بعلم حساب المثلثات إلى أبعد من مبادئه التي كان عليها في أيام هبارخوسن وبطليموس، وذلك حين استبدل المثلثات بالمربعات في حل المسائل، واستبدل جيب الزاوية بالقوس كما كان يفعل هبارخوس، وهو الذي صاغ في حساب المثلثات النسب بالصورة التي نستخدمها الآن في جوهرها»^(٣)، ونال ثناء كثير من أصحاب كتب التراجم المسلمين، مثل: ظهير الدين البيهقي الذي قال عنه: كان حكيماً عارفاً بتفاصيل أجزاء علوم الحكمة^(٤)، وابن خلكان الذي قال عنه: «له الأعمال العجيبة والأرصاء المتقنة، وأثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين، وكان أوحد عصره في فنه، وأعماله تدل على غزارة فضله وسعة علمه»^(٥)، والذهبي الذي قال عنه: «له أعمال وأرصاء وبراعة في فنه،

(١) ابن العبري (غوريغوريوس بن أهرون): تاريخ مختصر الدول ص ٨٦.

(٢) خير الدين الزركلي: الأعلام ج ٦ ص ٦٨.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة ج ١٤ ص ٤٢ - ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين.

(٤) البيهقي (أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد): تتمّة صوان الحكمة ص ٣.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٥ ص ١٦٤.

وكان صابئاً ضالاً، فكأنه أسلم وتسمّى بمحمد»^(١)، كما أثنى عليه علماء الغرب في العصر الحديث؛ كالمستشرق (نلينو) الذي قال عنه: «له رصود جليلة للكسوف والخسوف اعتمد عليها دنثورن Dunthorne سنة ١٧٤٩ م في تحديد تسارع القمر في حركته خلال قرن من الزمان»، وقال عنه الفلكي الفرنسي لالند (Lalande): «البتاني أحد الفلكيين العشرين الأئمة الذين ظهرُوا في العالم كله»^(٢).

- سهل بن بشر بن حبيب بن هانئ اليهودي المنجّم، الذي أسهم إسهاماً كبيراً في نشر الثقافة الفلكية^(٣).

- يعقوب بن سقلاب القدسيّ، عالم الهيئة والنجوم، قال الذهبي: «كان عاقلاً، رزيناً، ساكناً، متقناً للسان الرومي، خبيراً بنقله إلى العربي، وكان من أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس؛ حتى لعله يكاد يستحضرها كلّها»^(٤).

- السّمّوأل بن يحيى بن عياش المغربي البغدادي (ت سنة ٥٧٦ هـ)؛ كان يهودياً وأسلم، وقد أسهم في رُقّي علم الرياضيات عند المسلمين، حيث قال عنه الموفق عبد اللطيف: «بلغ في العدديّات مبلغاً لم يصله أحد في زمانه، وكان حادّ الذهن جداً، بلغ في صناعة الجبر الغاية»، وقال عنه

(١) الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد): سير أعلام النبلاء ج٤ ص ١٤٨ - تحقيق شعيب الأرنؤوط.

(٢) الزركلي: الأعلام ج٦ ص ٦٨ نقلاً عن كتاب علم الفلك لنلينو.

(٣) ابن النديم: الفهرست ص ٣٨٣، وابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٢٠٨ - تحقيق نزار رضا.

(٤) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج١٠ ص ١٠٧.

القفطي: «كان عددياً هندسياً حقيقياً، وله في ذلك مصنفات؛ منها: كتاب المثلث القائم الزاوية، وقد أحسن في تمثيله وتشكيله وعدة صوره ومبلغ مساحة كل صورة منها»^(١).

- أبو الفرج بن الطيب النصراني، قال عنه القفطي: «كان واسع العلم، كثير التصنيف»^(٢).

وأكثر الكتب التي صنّفها أو عرّبها هؤلاء وغيرهم؛ أثرت الثقافة الإسلامية إثراءً كبيراً، ووسّعت من أفقها، وكانت نواةً للحركة العلمية التجريبية عند المسلمين، ومثّلت مع ما صنّفه باقي العلماء المسلمين؛ جسراً التواصل بين الثقافات القديمة والثقافة الإسلامية.

(١) القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٣.

(٢) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٢٢٦.

إيجابيات وسلبيات انفتاح الثقافة الإسلامية على الثقافات القديمة:

أولاً: الإيجابيات:

- ١ - أن أكثر العلماء غير المسلمين الذين كانوا حلقة الوصل في نقل الثقافات القديمة إليها؛ أسلموا نتيجة احتكاكهم بالمسلمين ومعرفتهم تعاليم الإسلام وتقديره للعلم والعقل والفهم والتدبر، ومن هؤلاء:
 - أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة، كان صابئياً وأسلم^(١).
 - أبو علي يحيى بن جزلة، كان نصرانياً وأسلم^(٢).
 - علي بن ربن الطبري، كان يهودياً قبل إسلامه^(٣).
 - الفلكي الشهير محمد بن جابر بن سنان الحراني المعروف بالبتاني، كان صابئياً قبل إسلامه^(٤).
 - الفلكي سند بن علي، كان يهودياً قبل إسلامه^(٥).
 - يحيى بن أبي منصور الذي صنع المرصد للمأمون وأسلم على يديه^(٦).
 - حسان بن أبي سنان بن أبي أوفى بن عوف التنوخي، كان نصرانياً قبل إسلامه^(٧).

(١) المصدر السابق: ص ٢١٠.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٢٦٧.

(٣) القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٠١.

(٤) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١٤ ص ٥١٨.

(٥) القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٣.

(٦) المصدر السابق: ص ١٥٤.

(٧) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر): البداية والنهاية ج ١٠ ص ١٨٩ - تحقيق علي شيري.

- السموأل بن يحيى بن عياش، كان يهودياً وأسلم^(١)، وغيرهم كثير.
ومن لم يُسلم منهم صارت أفكاره ومعتقداته أقرب للإسلام منها لديانته،
فهذا يوحنا بن ماسويه الطيب الشهير؛ مرض ذات يوم واشتد به مرضه حتى
يئس منه أهله، فاجتمع عنده القساوسة وجماعة من الرهبان يقرؤون حوله من
الإنجيل، فقال لهم: يا أبناء الفسق ما تصنعون؟ قالوا: ندعو لك، فقال لهم:
قرص ورد أفضل من صلوات جميع أهل النصرانية منذ كانت وإلى يوم
القيامة^(٢).

وجاء رجُلٌ يشكو جرباً أصابه، فقال له: «أفصد الأكلحَل من اليمنى، فقال:
قد فعلتُ، فقال: أفصد الأكلحَل من اليسرى، فقال: قد فعلتُ، فقال: اشرب
المطبوخ، فقال: قد فعلتُ، فقال: اشرب ماء الجبن، فقال: قد فعلتُ، فقال:
اشرب مخيض البقر أسبوعين، فقال: قد فعلتُ، فقال: اشرب الإصطخفيون،
فقال: قد فعلتُ، فقال له: لم يبق شيء مما ذكره الأطباء إلا وقد ذكرته، وقد بقي
شيء لم يذكره أبقراط ولا جاليونس، فقال: ما هو؟ فقال: ابتغ زوجي قراطيس
وقطعُهما رُقاعاً صغاراً، واكتب في كل واحدة: رَحِمَ اللهُ مَنْ دعا لمبتلي بالعافية،
وألقِ نصفها في المسجد الشرقي، والآخر في المسجد الغربي، وفرقها يومَ
الجمعة، فإني أرجو أن ينفَعك اللهُ بالدعاء إذ لم ينفَعك العلاج»^(٣).

٢- إتاحة الفرصة لظهور العلماء المسلمين الأفاضل الذين صاروا رواداً في
الشرق والغرب، وكانت أفكارهم ونظرياتهم نبراساً لمن وضعوا أسس

(١) الصفدي: الوافي بالوفيات ج٥ ص ٢٧٦.

(٢) المصدر السابق: ج٢٩ ص ٣١.

(٣) المصدر السابق: ج٢٩ ص ٣١.

- النهضة الحديثة، حيث كان من دواعي نبوغهم: اطلاعهم على تلك الثقافات القديمة بعد تعريبها، ومن هؤلاء العلماء المشهورين:
- الخوارزمي (محمد بن موسى)؛ المبتكر الحقيقي لعلم الجبر بصورته الحديثة^(١).
 - الرازي (أبو بكر محمد بن زكريا) الذي برع في كثير من العلوم، وصنف ١٣١ كتاباً نصفها في الطب^(٢).
 - ابن سينا (أبو علي بن الحسين)؛ صنف ما يزيد عن مائة كتاب في فنون العلم المختلفة بالعربية والفارسية^(٣).
 - البيروني (أبو الريحان أحمد بن محمد) الذي اشتهر بمعرفته الواسعة في علم الهيئة والنجوم^(٤).
 - جابر بن حيان إمام علم الكيمياء، حتى إن القدماء كانوا يخصونها به قديماً فيسمونها علم جابر^(٥).

(١) البغدادي (إسماعيل بن محمد أمين): هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ج ١ ص ٤٤٨.

(٢) انظر ول ديورانت: قصة الحضارة ج ١٣ ص ١٩١.

(٣) انظر: البيهقي: تنمة صوان الحكمة ج ١ ص ٨- الذهبي: العبر في خبر من غبر ج ١ ص ١٩٦- الصفدي: الوافي بالوفيات ج ٤ ص ٢٥٠.

(٤) انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات ج ٣ ص ٧٠- القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء ج ١ ص ٤٥.

(٥) الصفدي: الوافي بالوفيات ج ٢ ص ٢٨٠- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): المقدمة ص ٣١٠، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش.

- ابن النفيس (علي بن أبي الحزم القرشي) قال عنه السبكي: «لم يكن على وجه الأرض مثله في الطب، وكان في العلاج أعظم من ابن سينا»^(١).

- الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله) الجغرافي الشهير الذي زوّد المعرفة الإنسانية بحقائق جغرافية لا تختلف كثيراً عما هو متعارف عليه الآن^(٢).

وغيرهم من العلماء الذين كانت مصنفاتهم ومؤلفاتهم ونظرياتهم تُدرّس في جامعات أوروبا حتى وقت قريب، وفي ذلك يقول غوستاف لوبون: «وتُرجمت أكثر كتب الرازي إلى اللغة اللاتينية، وطُبعت عدّة مرات، ولاسيما في البندقية سنة ١٥٠٩م، وفي باريس سنة ١٥٥٢م، وسنة ١٧٤٨م، وأعيد طبع ترجمة كتابه في الجُدري والحصبة سنة ١٧٤٥م، وظلت جامعات الطب في أوروبا تعتمد على كتبه زمنًا طويلاً، وكانت كتبه مع كتب ابن سينا، أساسًا للتدريس في جامعة لوفان في القرن ١٧م كما ثبت ذلك من برنامج وُضع سنة ١٦١٧م.. ونُقلت كتب ابن سينا إلى أكثر لغات العالم، وظلت مرجعًا عامًّا للطب ستة قرون، وبقيت أساسًا للمباحث الطبية في جميع جامعات فرنسا وإيطاليا، وكان طبعها يُعاد حتى القرن ١٨، ولم ينقطع تفسيرها في جامعة مونبلييه إلا منذ ٥٠ سنة»^(٣).

وقد بلغ من اتساع ثقافة العلماء المسلمين في هذا الوقت؛ أن الفارابي كان يجيد ٧٠ لغة من لغات عصره^(٤).

(١) السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي): طبقات الشافعية الكبرى ج ١ ص ١٠٧،

تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو.

(٢) البغدادي: هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين ج ١ ص ٤٤٨.

(٣) غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٥٠٥ وما بعدها.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات ج ١ ص ١٠٢.

٣- أن اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) صارت وعاء كل العلوم التجريبية والنظرية خلال العصور الوسطى، وكل من كان يريد أن يتبحر في علمٍ - وقتها - كان لازماً عليه تعلُّم العربية، كما أن ازدهار النهضة العلمية الذي أعقب هذا الانفتاح؛ كان للدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية حظ كبير منه، ومن يتأمل في المصنفات التي ألفها سيبويه والكِسائي والفراء والزجاج وعبد القادر الجرجاني والجاحظ وابن المقفع وابن المعتز وابن طباطبا وابن قتيبة وأشعار المتنبي وأبي تمام وابن الرومي والمعري وغيرهم؛ يرى صدق ذلك.

٤- احتضانها لتراث الأمم السابقة الذي كان مهدداً بالزوال والاندثار، ولولا ذلك ما عرف الناس في عصرنا شيئاً عن المصنفات اليونانية والهندية وغيرها من المصنفات القديمة التي تزخر المكتبات بنسخ منها الآن، حيث كان يحرم الاطلاع على تلك المصنفات في كثير من البلدان التي جُلبت منها، ويُحرق ما يُعثر عليه منها؛ كما فعل بكتب أرشميدس العالم الشهير، إذ أحرق الروم منها خمسة عشر حملاً بحسب الروايات^(١).

وفي ذلك يقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون: «ووجد العرب في بلاد فارس وسورية حينما استولوا عليها، خزائن من العلوم اليونانية، وأمروا بنقل ما في اللغة السريانية منها إلى اللغة العربية، ولم يلبثوا أن أمروا بأن يُنقل إليها ما لم يكن قد نُقل، فأخذت دراسات العلوم والآداب تسير قُدماً إلى الأمام، ولم يَدُم اكتفاء العرب بما نُقل إلى لغتهم طويلاً، فقد تعلَّم عدد غير قليل منهم اللغة اليونانية على الخصوص، ليستقوا منها علوم اليونان، ثم

(١) ذكر ذلك ابن النديم في الفهرست: ص ٣٢٦.

تعلّموا اللغة اللاتينية واللغة القشتالية في إسبانيا، كما يشهد بذلك ما في مكتبة الإسكوريال من المعجمات العربية اليونانية والعربية اللاتينية والعربية الإسبانية التي ألفها علماء من المسلمين»^(١).

وبالطبع لم يكن احتفاظ الثقافة الإسلامية بهذا التراث مجرد ضمه إلى المصنفات العربية، وإنما أعاد العلماء المسلمون صياغة هذا التراث وشرحه وتحليله ونقده، بل وتحويله من مجرد نظريات إلى قواعد خاضعة للتجريب.

تقول المستشرقة الألمانية «زغريد هونكه»: «إن العرب (تعني المسلمين) طوروا بتجارهم وأبحاثهم العلمية وما أخذوه من مادة خام عن الإغريق وشكلوه تشكيلاً جديداً، فهم في الواقع الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة.. فعندهم فقط بدأ البحث الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه؛ يتدرج من الجزئيات إلى الكلّيات.. وعلى هذا الأساس ساروا في العلوم الطبيعية شوطاً كبيراً، أثار فيما بعد بطريق غير مباشر على مفكري الغرب وعلمائهم، أمثال روجر باكون وماكنوس وقيتليو ودافنشي، إن العرب هم مؤسسوا الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والمثلثات وعلم الاجتماع، وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات في مختلف فروع العلوم؛ والتي سُرق أكثرها ونُسب لآخرين، وقدّم العرب أثمن هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهّدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم»^(٢).

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب ص ٤٥٠.

(٢) زغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب - ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي ص

ثانياً: السلبيات:

من المسلم به أن تلك الثقافات التي انفتح عليها المسلمون في العصر العباسي؛ كانت لأناسٍ وثنيين أو متبوعين لديانات محرّفة، فكان للاطلاع عليها آثار سلبية، خاصة وأن بعض من نقلوها كانوا غير مسلمين، فلم يتخيروا منها المفيد فقط، كما أن القائمين على نقلها من ولاة الأمر لم تكن لهم خبرة بمنافع ومساوئ الإسراف في النقل، فلم يتحاشوا نقل ما يخالف معتقد المسلمين، وكانت عندهم ثقة زائدة في أن المجتمع المسلم محصّن ضد الأفكار الشاذة، وأن علماء الإسلام لديهم القدرة على التصدي لكل فكر منحرف ينتج عن الانفتاح على تلك الثقافات المنقولة - وهم كذلك - ولكن الانفتاح الكامل ساعد على تسرّب الأفكار الضالة إلى الفكر الإسلامي، فظهر ما يسمى علم الكلام، وتوسع الجدل في القضايا العقائدية التي لم تكن تحتاج من المسلم أكثر من الإيمان بالنصوص الصريحة التي وردت؛ دون تأويل أو تحريف، كنصوص صفات الله عز وجل، وكان أول بلاء حل بالمسلمين جرّاء ذلك: بدعة القول بخلق القرآن، تلك الفتنة التي زلزلت المجتمع الإسلامي وقتها^(١)؛ لأن الأمر لم يقتصر على حرية اعتناقها كما هو معتاد في المجتمع الإسلامي؛ وإنما أدى انحياز الخليفة المأمون لمن يؤمن بها^(٢) إلى محاولة إجبار الناس على

(١) لم يكن المعتزلة أول من ابتدع تلك الفرية، وإنما الجهمية (أتباع الجهم بن صفوان) وقيل: الجعد بن درهم، لكن المعتزلة هم الذين روجوا لانتشارها بعد أن اعتنقوها وحثوا المأمون على إكراه الناس على اعتناقها.

(٢) ذكر ابن قيم الجوزية أنهم أقنعوا المأمون أن «ذلك هو تنزيه الرب عن التشبيه والتمثيل والتجسيم». انظر: الصواعق المرسله ج ٣ ص ١٠٧٢ - تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله.

اعتناقها واضطهاد من يعارضها^(١).

ومثلها قضية الجبر والاختيار؛ التي أخذت حيزاً كبيراً من الخلاف والنقاش، مع أن الإسلام لم يطلب من الإنسان المسلم سوى أن يعمل الخير ويذر الشر، وعمله مرتبط بالمشيئة الإلهية، فما شاءه وقدره له الله عز وجل فعله، وما لم يشأه لم يفعله، أما الجدال والمراء في ذلك؛ فالمسلمون منهيون عنه، لقول النبي ﷺ: «ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم القيامة، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الأوثان: المراء وشرب الخمر، ذروا المراء فإن الشيطان قد يئس أن تعبدوه، ولكن رضي منكم بالتحريش وهو المراء في دين الله، ذروا المراء فإن بني إسرائيل افرقوا على إحدى وسبعين فرقة، كلها ضالة إلا السواد الأعظم، قيل: يا رسول الله وما السواد الأعظم؟ قال: من لا يماري في دين الله، ومن كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي ولم يكفر أحداً من أهل التوحيد»^(٢).

وبعد ذلك قام من سُموا بالفلاسفة المسلمين؛ بمحاولة تطويع النصوص القرآنية وتأويل معناها لتلاءم نظرياتهم الفلسفية، مما ساعد على ظهور وانتشار الفرق الإسلامية التي حذر منها الرسول ﷺ.

ورغم ذلك فإن تأثير هذا الانفتاح الثقافي السلبي كان محدوداً^(٣) بالقياس إلى

(١) لمعرفة المزيد عن صور هذا الاضطهاد؛ يراجع: مجموع فتاوى ابن تيمية ج١ ص ٤١٥- وكتاب المحن لأبي العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي ص ٤٥٠، تحقيق د. عمر سليمان العقيلي.

(٢) السيوطي: جامع الأحاديث ج٣٣ ص ١٠٢.

(٣) هذا إذا ما أخذنا في الحسبان أن تلك السليبات لم تأت من جانب ترجمة الكتب فقط، وإنما بعضها جاء نتيجة تأثير المذاهب والأديان المختلفة داخل الدولة الإسلامية المترامية

المنافع التي حققها المسلمون من وراء ذلك، كما أن علماء الإسلام المخلصين تصدوا للأفكار الشاذة الضالة التي انتشرت نتيجة هذا التأثير؛ ومن هؤلاء:

- الإمام أحمد بن حنبل الذي بفضل الله تعالى، ثم بجهوده وصبره وتحمله وثباته وعلمه؛ انتهت فتنة خلق القرآن.

- أبو حامد الغزالي الذي فنّد حُجج الفلاسفة في كتابه «المنقذ من الضلال» و«تهافت الفلاسفة»، وقال: «لا تثبت ولا إتقان لمذهبهم عندهم، وأنهم يحكّمون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين، ويستدلون على صدق علومهم الإلهية بظهور العلوم الحسائية والمنطقية، ويستدرجون به ضعفاء العقول، ولو كانت علومهم الإلهية متقنة البراهين، نقيه عن التخمين كعلومهم الحسائية؛ لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسائية»^(١).

- ابن الجوزي الذي قال: «إنما تمكّن إبليس من التلبس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بأرائهم وعقولهم، وتكلموا بمقتضى ظنونهم، من غير التفاتٍ إلى الأنبياء»^(٢) وقال في موطن آخر: «وقد لبّس إبليس على أقوام من ملّتنا، فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم، فأراهم أن الصواب اتباعُ الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلّت على نهاية

الأطراف، حيث كانت تضم بين رعاياها عشرات الأمم بأديانهم وأفكارهم المتعددة، تتناقش وتتجادل فيما بينها، وكانت آثار ذلك تنتقل لبعض المسلمين، كما أن الكثير من هؤلاء كان يدخل الإسلام بموروثه الثقافي القديم.

(١) الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي): تهافت الفلاسفة ص ٧٦ وما بعدها - تحقيق د / سليمان دنيا.

(٢) ابن الجوزي: تلبس إبليس ص ٤٢.

الذكاء وكمال الفطنة، كما ينقل من حكمة سقراط وأبقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس وجالينوس، وهؤلاء كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية، واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية، إلا أنهم لما تكلموا في الإلهيات خلطوا، ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات»^(١).

- ابن تيمية الذي صنّف كثيراً من الكتب؛ أكد من خلالها أن للفلسفة والمنطق اليونانيين مضاراً عديدة على عقيدة المسلم وعلى تفكيره، منها: «دَرْء تعارض العقل والنقل»، «الرد على المنطقيين»، «نقض المنطق»، «رسالة الرد على عقائد الفلاسفة»، وقد فنّد آراءهم بقوله: «والمفلسفة يقولون: القرآن جاء بالطرق الخطابية والمقدمات الإقناعية التي تُقنع الجمهور، ويقولون: إن المتكلمين جاءوا بالطرق الجدلية، ويدعون أنهم هم أهل البرهان اليقيني، وهم أبعد عن البرهان في الإلهيات من المتكلمين، والمتكلمون أعلم منهم بالعلميات البرهانية في الإلهيات والكليات، ولكن للمفلسفة في الطبيعيات خوَصٌ وتفصيلٌ تميّزوا به، بخلاف الإلهيات فإنهم من أجهل الناس بها وأبعدهم عن معرفة الحق فيها، وكلام أرسطو - معلّمهم - فيها كثير الخطأ»^(٢).

ونلاحظ أن العلماء الذين ردوا على الفلاسفة ونقدوا آراءهم، اعترفوا لهم بالفضل والتفوق في العلوم الطبيعية؛ مما يعني أن علماء الإسلام السابقين كانوا لا ينكرون الاقتباس من ثقافة الآخرين فيما يخص أمور المعاش أو المنافع الدنيوية.

(١) المصدر السابق: ص ٤٦.

(٢) ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم): رسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ج ١٩ ص ١٦٣ - تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

تأثير الثقافة الإسلامية في الثقافات الأخرى:

كل القرائن تشير إلى أنه لا توجد ثقافة استُحدثت بعد ظهور الثقافة الإسلامية إلا وتأثرت بها، وبخاصة الثقافات واسعة الانتشار، وفي ذلك يقول المستشرق الروماني د / نيقولا دوبريشان: «تمثل الثقافة العربية (الإسلامية) إحدى طبقات الحضارة الإسلامية، وحملت رسالتها منذ بداياتها، وقد أثرت تأثيرًا بالغًا في الحضارة العالمية؛ سواء بقيمها الذاتية، أو بالعديد من قيم ثقافات أخرى احتكَّت بها، ثم احتوتها وأصبحت حاملةً وناقلةً لها، وذلك بعد أن أتاح التاريخ لها الفرصة لانتشارها على مساحة شاسعة من الكرة الأرضية، وأصبحت قادرةً على استيعاب العناصر الثمينة للثقافات التي اتصلت بها، ثم أثرت إلى حد بعيد الحضارة العالمية، وأسهمت إسهامًا عظيمًا كريمًا في تراثها»^(١).

وهذا التأثير كان في شتى الجوانب، ولذلك يقول روبرت برنشفك R. Brunschvig أستاذ الحضارة العربية بجامعة باريس: «.. إن تأثير الدين الإسلامي تتجلى قوته.. في عدد كبير من عناصر الثقافة الإنسانية: في اللغة والفنون والأدب والأخلاق والسياسة والتركيب الاجتماعي ونشاطه والقانون، بحيث لا نستطيع إذا أخذنا الوضعية كلاً، أن نرفض ملاحظة مدنية مستقلة فيها، لا تتميز بالعنصر الإسلامي فحسب، بل بالعامل الإسلامي أيضًا»^(٢).

وقد ظهر هذا التأثير أولاً على ثقافات الشعوب التي انضوت تحت راية العالم الإسلامي، تلك الشعوب التي كان لها أديان ومذاهب شتى وثقافة تتلاءم

(١) د / نيقولا دوبريشان: الثقافة العربية جزء لا يتجزأ من الحضارة العالمية - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المجلد ٢٤٠ ص ١ - بتصرف قليل.

(٢) د / عماد الدين خليل: قالوا عن الإسلام ص ٣٣٩ - إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

مع تلك الأديان، لكن سرعان ما تأثرت بالثقافة الإسلامية، فاكتمت منها العادات والتقاليد واللغة وطرق التفكير، حتى صار أفرادها لا يتميزون بين المسلمين رغم محافظتهم على ديانتهم غير الإسلامية، فبعد فترة وجيزة من استقرار الفتوح الإسلامية؛ وجدنا بلاد الشام ومصر والعراق والمغرب العربي تحل فيها اللغة العربية محل لغاتها الأساس، بحركة انسيابية قلما وُجد لها مثل في التاريخ، وصار علماءها وأدباؤها يدونون أفكارهم بلغة عربية طليقة مدعمة بالثقافة الإسلامية، لدرجة أن من يقرأ مصنفاتهم لا يعرف أنها لرجل غير مسلم إلا من خلال اسمه فقط، ومن يتصفح كتاباً مثل «الرسائل» لأبي إسحق الصابي؛ يعلم صحة ذلك.

وبلغ من شغفهم بالثقافة الإسلامية؛ أن بعضهم كان يشتغل بنسخ كتب تفسير القرآن الكريم؛ مثل: يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا النصراني الذي قال: «لقد نسختُ بخطِّي نسختين من التفسير للطبري، وحملتهما إلى ملوك الأطراف، وقد كتبتُ من كتب المتكلمين ما لا يُحصى، ولعهدي بنفسي وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة أو أقل»^(١).

وفي القرون المتأخرة؛ صار من يتجول بين المسيحيين واليهود في مصر والشام والعراق وبلاد المغرب العربي؛ لا يسمع منهم غير اللسان العربي الفصيح، وتداولت على ألسنتهم مفردات إسلامية مثل: الحمد لله، إن شاء الله، السلام عليكم، والله العظيم، العفو، وإذا تأمل في زيهم؛ لا يرى غير الزي الإسلامي والعادات والتقاليد الإسلامية في الأفراح والأحزان وسائر المناسبات، يقول السير توماس. و. أرنولد: ويمكن أن ندرك مدى ما بلغه هذا

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٢٢٢.

الأمر على وجه التقريب من هذه الكلمات التي جاءت على لسان ماركو بتزى، إذ يقول: «هناك نحو ٦٠٠ منزل يقطنها المسيحيون والمسلمون دون تمييز، سواء منهم اللاتينيون والمنشقون (أي عن الكنيسة الإغريقية الأرثوذكسية)، وإن عدد المسلمين يتجاوز عدد المسيحيين قليلاً، كما أن عدد اللاتينيين يتجاوز عدد المنشقين»^(١).

وكما قال أحد الباحثين المسلمين: وطبع (أي الإسلام) الشعوب التي انتشر فيها بطابع آخر هو الطابع العربي، فترى معتنقي الأديان السابقة له والذين يعيشون في البلاد الإسلامية؛ تجمعهم بالمسلمين رابطة الطابع واللغة، ويعطفون على الإسلام بداعي العروبة، والعروبة هي الطابع الثاني للإسلام لغير أهله؛ بما سنه من المعاملة الحسنة ومصاهرة أهل الأديان الأخرى وتقوية روابط الأُسْر ونشر روح الوئام بين الجماعات؛ ولذلك اختلطت الأنساب وتنوسيت، ولكن الشائع في البلاد الإسلامية هو الأصل العربي، سواء أكان الشخص مسلمًا أو غير مسلم، فأصبح المؤرخون في حيرة من تسمية هذا الامتزاج وتلك الثقافة، فطُورًا يسمونها الإسلامية، وطُورًا يسمونها العربية^(٢).

ولم يقتصر الأمر على المواطنين من غير المسلمين، وإنما تعداهم إلى المستوطنين الجدد من الفرنجة (الصلبيين)، فقد أقلعوا عن لباسهم الأوروبي وتعلقوا بالأزياء والملابس الشرقية التي كانت أدعى إلى الراحة.. وأطلق البعض منهم لحاه تشبهًا بالشرقيين (المسلمين)، واستعمل النعال التي

(١) السير توماس. و. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ٥٣ - ترجمة د / حسن إبراهيم حسن وآخرين.

(٢) حسين الهواري: أسباب ونتائج - مقال منشور بمجلة المنار المصرية المجلد ٣٥ ص ٢٥٣.

يستعملها المسلمون في بيوتهم؛ حتى إن بلدوين ملك بيت المقدس (١١٠٠: ١١١٨م) استبدل ثيابه الغربية بأخرى شرقية، وأرسل لحيته وتناول طعامه على بساطٍ مربعاً على الأرض على الطريقة الشرقية.. وبلغ الأمر بتانكرد صاحب أنطاكية (ت ١١١٢م) أن سكَّ النقودَ وعليها صورته في زي عربي... أما السيدات الصليبيات فاتبعن الزي الشرقي التقليدي، وارتدت الواحدة منهن قميصاً مرسلاً طويلاً إلى القدمين، وسُترة قصيرة أو رداءً بكمّين... وإذا خرجت من الدار اتخذت الحجابَ شأنَ النساءِ المسلمات المحتشمتات^(١).

وقد أرسل البابا هونوريوس الثالث (بابا روما) الأسقفَ «جميس دي فيتري» إلى الإمارات الصليبية في بلاد الشام ليعده تقريراً عنها، فوصل عكاً في نوفمبر ١٢١٦م؛ ورفع إلى البابا تقريراً مفصلاً عن وضع الصليبيين في الشام، جاء فيه: «إن المسيحيين الوطنيين يكرهون اللاتين ويؤثرون حكم المسلمين، ومن ناحية اللغة فإنهم يتحدثون العربية، ومن ناحية زيهم وطريقتهم في الحياة لا يختلفون فيها عن المسلمين إلا قليلاً؛ لأنهم تربّوا وسط المسلمين واكتسبوا عاداتهم»^(٢).

وهذا التأثير بالثقافة الإسلامية لدى الفرنجة أو الصليبيين؛ جعل الكثيرين منهم يدخلون في الإسلام، رغم أن العداوة كانت على أشدها بينهم وبين المسلمين خلال الحروب الصليبية، يقول توماس آرنولد: «بانتهاء القرن الحادي عشر الميلادي؛ انضم إلى أهالي الشام وفلسطين من المسيحيين: عنصر جديد يتألف من هذه الجموع الهائلة من الصليبيين..، واستقروا في

(١) د / محمود محمد الحويري: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام ص ٩٧ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق: ص ٢٤٣ وما بعدها.

مملكة بيت المقدس وسائر الولايات التي أسسها الصليبيون.. وفي غضون هذه الفترة؛ كانت تحدث من حين لآخر تحولات إلى الإسلام من بين هؤلاء المهاجرين الغرباء، ففي الحرب الصليبية الأولى مثلاً؛ انشق عن الطائفة الرئيسية جماعة من الألمان واللومبارديين بزعامة فارس مشهور يُدعى **Rainaud**.. وانتقلوا إلى الأتراك حيث اعتنقوا الإسلام^(١)، وينقل عن أحد مؤرخي الفرنجة القدامى قوله: لقد جفوا (أي الصليبيين) إخوانهم في الدين؛ الذين كانوا قساة عليهم، ووجدوا الأمان بين المسلمين الذين كانوا رحماء عليهم، ولقد بلغنا أن ما يربو على ثلاثة آلاف قد انضموا بعد أن تتهقروا إلى صفوف الأتراك، إنها لرحمة أقسى من الغدر! لقد منحوهم الخبز، ولكنهم سلبوهم عقيدتهم، ولو أن من المؤكد أنهم لم يُكرهوا أحداً من بينهم على نبذ دينه، وإنما اكتفوا بما قدموا لهم من خدمات^(٢).

وفي إسبانيا (الأندلس)؛ لم يختلف الحال كثيراً، فقد نقل أرنولد عن أحد الكتاب الإسبان قوله: «إن كثيراً من المسيحيين قد تسموا بأسماء عربية، وقلدوا جيرانهم المسلمين في إقامة بعض النظم الدينية، فاختن كثير منهم، وساروا وفق رسوم المسلمين في أمور الطعام والشراب، وإن إطلاق لفظ مستعربين Muzarabes على الإسبان المسيحيين الذين عاشوا في ظل حكم العرب، يدل دلالة ظاهرة على الميول والاتجاهات التي كانت تعمل بنشاط وهمة في هذه السبيل؛ فسرعان ما أخذت دراسة اللغة العربية تحل محل دراسة اللغة اللاتينية

(١) السير توماس. و. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ص ٨٢ نقلاً عن: De Guignes, tome ii, (Seconde Partie), p. 15.

(٢) المرجع السابق ص ٨٢ نقلاً عن: Odo de Diogilo. De Ludovici vii, Itinere. Migne, Patr Lat., tom cxcv, p. 1243.

في جميع أرجاء البلاد؛ حتى إن لغة الدين المسيحي قد تطرق إليها الإهمال والنسيان شيئاً فشيئاً، بل لقد أثار بعض القسيسين سخريّة الناس لجهلهم باللغة اللاتينية الصحيحة»^(١).

ويُنقل عن أحد القساوسة قوله: «إن شبابنا المسيحيين، برغم تكلفهم اللطف والكياسة وحسن البيان وطلاقة اللسان، إنما كانوا يسترعون الأنظار بحسن هندامهم وحسن تصرفهم فيما يعرض من الأمور، وبما عُرف عنهم من حسن الأدب ودماثة الخلق، وبتشبعهم بالبلاغة العربية، نراهم يتناولون كُتب الكلدانيين «المسلمين» منهم، ويطالعونها بلهف ويناقشونها في حماسة وغيره، ويشيدون بذكرها، ويمتدحونها بكل ضروب التميمق في اللفظ وحسن البيان، وعلى حين أنهم لا يفقهون شيئاً من جمال الأدب الكنسي... وأسفاه؛ لقد جهل المسيحيون نُظم شريعتهم، وأصبحت الأمم اللاتينية لا تعير لغتها اهتماماً، حتى لا تكاد تجد في جماعة المسيحيين رجلاً من كل ألف رجل يستطيع أن يستفسر عن صحة صديق بعبارات واضحة جليّة، وأنت واجد بين جمهرة السوق والعامة أشخاصاً لا يُحصى عددهم، يحيطون إحاطة تامة بالعبارات الفصيحة التي خَلَفَتها اللغة العربية في عصورها الذهبية، حتى لقد استطاعوا أن ينظموا القصائد المقفاة التي تتجلى فيها أسمى مراتب الجمال، بل لقد كان بعضُهم أمهر من العرب أنفسهم في قرض الشعر»^(٢).

(١) المرجع السابق: ص ١٢٢.

(٢) المرجع السابق: ص ١٢٢ نقلاً عن Von Schack, vol. ii, p. 96، وعن التأثير والتأثر في مجال الأدب أيضاً؛ يقول أحد المهتمين بهذا الأمر: «ربما لا يدرك الكثيرون مدى التأثير والتأثر بين الأدب العربي والأدب الإسلامي في جملته، والأدب الأوروبية، ويكفي لإجمال الأثر الذي أبقاه الأدب العربي الإسلامي في آداب الأوروبيين؛ أننا لا نجد أديباً واحداً من نوابغ الأدباء

وما زال إعجاب الإسبان بالثقافة الإسلامية قائماً إلى الآن، ففي ديسمبر ١٩٦٦م؛ انعقدت الحلقة الخامسة للدراسات الأندلسية الإسلامية بمدينة مالقا (Malaga)، وشارك فيها باحثون أوروبيون وشرقيون بالإضافة إلى مستعربين إسبان، وألقى محافظ المدينة كلمة جاء فيها: إن الإسلام الذي كان دينَ أجدادنا في هذه الفترة الطويلة من الزمن؛ هو باعث تلك النهضة ونافخ روح الجد والعمل في بلادنا التي كانت قبل دخوله إليها تغط في نوم عميق... ولا عليّ إذا قلت كلمة إنصافٍ في الدين الإسلامي وأنا المسيحي المخلص لدينه، فلن يتهمني أحد في عقيدتي وإيماني، إنني بحبي للاطلاع وحرصي على المعرفة، قرأت القرآن ودرستُ سيرة النبي محمد ﷺ، ويمكنني أن أقول: إن الإسلام كدينٍ كبيرٍ أتى بكل العناصر التي لا يكون الدين كاملاً بدونها، إنه يحتوي على عقيدة سامية تتمثل في شعار «لا إله إلا الله»، و«لا غالب إلا الله»، وهي أساس التدين في الإسلام^(١).

ولم يقتصر أمر التأثر عند ذلك؛ وإنما تخطى إلى الأمور الدينية لديهم، حيث كان للفقهاء المالكي - وخاصة بالمغرب والأندلس - تأثير بليغ على التلمود والفقهاء اليهودي منذ القرن العاشر.. ومن أمثلة ذلك: أن أبا سعيد بن

عندهم، خلا شعره أو نثره من بطل إسلامي أو نادرة عربية، كما يظهر ذلك مثلاً في تأثر القصة الأوروبية في نشأتها بما كان عند العرب من فنون القصص في القرون الوسطى، وهي المقامات وأخبار الفروسية ومغامرات الفرسان في سبيل المجد».

د.كمال بشر، أمين عام مجمع اللغة العربية بالقاهرة، افتتاحية مؤتمر «التأثير المتبادل بين الثقافات العربية والأجنبية»، منشور بمجلة المجمع، المجلد ٢٤٤ ص ٩.

(١) محمد القاضي: أثر الإسلام واللغة العربية في الحياة الإسبانية، بحث منشور بمجلة التاريخ العربي المغربية.

يوسف الفيومي المعروف بالحاخام سعديا (٨٨٣-٩٤٣)؛ الذي يعتبر واضح الفيلسفة اليهودية في العصور الوسطى، قد صنف ترجمة عربية للعهد القديم، واستكمل قانون الميراث اليهودي مستعيناً بالشريعة الإسلامية^(١) بشكل جعل المتخصصين يطلقون على هذه الفترة من تاريخ الفكر الديني اليهودي في المنطقة العربية: «العصر الجاؤوني» أو «عصر الجاؤونيم»، أي العباقرة والمجددين؛ بفعل تأثير الحيوية الثقافية والفكرية التي اتسمت بها البيئة الفكرية في العالم الإسلامي عامة^(٢).

كما وصل التأثير إلى الأمور القانونية والتشريعية، حيث كان للشريعة الإسلامية - وبخاصة الفقه المالكي - تأثير كبير في صياغة القوانين الأوروبية الحديثة، يقول أحد القانونيين المهتمين بهذا الأمر: وقد انتشرت أحكام الفقه الإسلامي في كافة أنحاء أوروبا على إثر السنوات الـ ٧٠٠ التي أمضاها المسلمون في هذه القارة، بل إنه حتى بعد مغادرة المسلمين لهذه القارة، فإن أحكام الفقه الإسلامي ظل الأوروبيون يطبقونها، ونشئوا عليها، فأصحت هذه الأحكام أعرافاً وتقاليد واستمروا على اتباعها، وبقي التأثير مستمراً حتى بعد خروج المسلمين من غرناطة، ففي أواخر القرن الثامن عشر؛ غزا نابليون بونابرت المغرب العربي حتى عكا، وهناك تعرّف على الفقه المالكي، وعند عودته إلى فرنسا وضع القانون المدني الفرنسي في عام ١٨٠٤م، وهذا القانون مأخوذ ٩٠٪ منه من المذهب المالكي، وهذا الرقم ليس عشوائياً؛ بل نتيجة دراسة مقارنة بينهما، منها ما قام به علماء غربيون مثل:

(١) عبد العزيز بن عبد الله: معلمة الفقه المالكي: ص ٤١ وما بعدها.

(٢) د / قاسم عبده: التأثير الإسلامي على الفكر الديني اليهودي - مقال منشور بمجلة العربي

الكويتية - العدد ٦١٤ - ٢٠١٠م.

W. Hols worth: "History of English law"

Watt. Montgomery: "Influence of Islam on the medieval Europe".

وما قام به علماء مسلمون مثل: القاضي مخلوف المنيوي (ت ١٧٨٧م) الذي أجرى مقارنة بين القانون الفرنسي والفقهاء المالكي، وقدرى باشا وزير العدل في أواخر القرن التاسع عشر، وسيد عبد الله علي حسين صاحب المقارنات التشريعية الذي أثبت أن التشابه بين الفقهاء المالكي والقانون الفرنسي بلغ ٩٠٪، وهذه الدراسات المقارنة لا تزال مستمرة حتى تاريخنا في كليات الحقوق^(١).

وكذلك تأثر الصليبيون ببعض الأنظمة الإسلامية ومن بينها «الحسبة»؛ فقد طبّقوها في مملكتهم بيت المقدس، فمن يرجع إلى النظم القضائية لبيت المقدس والمطبقة في مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية؛ يجد في الصفحتين ٢٤٤، ٢٤٣ من المجلد الثاني تحت عنوان «وظيفة المحتسب»؛ وصفاً كاملاً شاملاً لوظيفة المحتسب واختصاصاته، وهي تماثل تماماً اختصاصات ومهام المحتسب في الدولة الإسلامية، حتى إنهم احتفظوا له أيضاً بذات الاسم المشتق من الوظيفة، وهي الحسبة^(٢).

(١) المحامي خليل: أثر الفقه الإسلامي على القوانين الغربية - محاضرة مدونة ومنشورة على موقع «مكتب المتحد للقانون» على هذا الرابط:

www.alliedlegals.com/cms/assets/files/islami.pdf.

(٢) د. حمدي عبد المنعم: تأثر الأوروبيين بالنظم الإسلامية إبان الحروب الصليبية - مقال منشور بموقع الألوكة الإلكتروني على هذا الرابط:

[http://www.alukah.net/culture/0/71268. /](http://www.alukah.net/culture/0/71268/)

«أما التأثير الأوسع نطاقاً للثقافة الإسلامية، فكان في مجال العلوم التجريبية التي قامت عليها النهضة الحديثة، حيث كانت الأندلس المعبر الأول لها إلى أوروبا، وذلك بعد أن جعل ألفونس السابع (١١٢٦ - ١١٥٧ م) طليطلة؛ المركز الذي تنتشر منه الثقافة العربية في أنحاء إسبانيا وأوروبا، فدعا إلى مدينته المترجمين من أنحاء الغرب، وأدخل الثقافة العربية في مناهج المدارس المسيحية، يساعده في ذلك أسقف طليطلة راييموندو، الذي حفّز مدرسة المترجمين الطليطليين على نقل المؤلفات العربية في الفلك والرياضيات والطب والكيمياء والطبيعة وما وراء الطبيعة وفلسفة أرسطو وشروح الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، وترجمت مؤلفات إقليدس وبطليموس وأبقراط وجالينوس بشروح أعلام العرب، وبلغت طليطلة الذروة في عهد ألفونس الحكيم (١٢٥٢ - ١٢٨٤)، وهُرع إليها المتعطشون للعلم اليوناني والعربي؛ مثل سكوت الإنجليزي الذي ترجم إلى اللاتينية بعض كتب أرسطو وابن سينا والبطروجي، وابن رشد وشروحه على أرسطو»^(١).

وبجانب طليطلة ومدرستها الكبيرة في ترجمة الثقافة العربية؛ كانت مدرسة سالرنو في جنوب إيطاليا، وقد نشأت في القرن العاشر الميلادي، وأتيح لها في القرن الحادي عشر الميلادي: قسطنطين الإفريقي من قرطاجنة التونسية، وكان قد ثقف العربية وعلوم الأوائل، وعرض على روجار الأول ملك صقلية؛ ترجمة الكتب العربية فشجعه، فرجع إلى تونس واختار له أنفس ما كتبه أطباؤها، كما اختار له روائع ما كتب العرب في الفلك والرياضيات، وكان قد

(١) د / شوقي ضيف: تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المجلد ٢٤٧ ص ٨.

أصبح أسقفًا، فأسس له ديرًا في جبل كاسينو بالقرب من سالرنو، فأغرى رهبانَ الدير بتعلم العربية وترجمة ما حمله من الكتب العربية، واشترك معهم في الترجمة، ودرّس ما ترجموه في مدرسة سالرنو، ومنها نقل إلى الجامعات الأوروبية، وبذلك أصبحت مدرسة الترجمة في سالرنو؛ مركزًا كبيرًا لنقل الثقافة العربية إلى الغرب منذ القرن الحادي عشر الميلادي^(١).

هذا إضافة إلى ما اكتسبوه أيام الحروب الصليبية، إذ تعرّفوا على العلوم العربية.. وتلمذ الكثير منهم على يد أساتذة مسلمين، وقاموا بترجمة الكثير من الكتب العربية، وفي ذلك يقول المستشرق جورج سارتون: «لقد مكّننا علماء العرب من أن نبي لأنفسنا - نحن أبناء الغرب - تقاليد ثقافية هي أعلى ما ورثناه من أسلافنا في العلم»^(٢)، ويقول المستشرق الألماني إرنست بانرث: «قامت ريح جديدة تهب على أوروبا، حيث إن الأوروبيين قد عرفوا أن طُرُق العرب العلمية كانت أنسب لمعرفة الحق من التقاليد الصرفة الذي كانوا متعودين عليه منذ قرون»^(٣)، وقال المفكر البريطاني «روم لاندو»: «إن العلم الأوروبي مدين بوجوده للعرب»^(٤).

وحتى (روجر بيكن) الذي يعد مؤسس العلم التجريبي عند الغرب؛ لم يكن إلا مقلدًا للعلماء المسلمين، يقول غوستاف لوبون: ««بيكن» أول من أقام التجربة والترصد الذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ، ويجب

(١) المرجع السابق: المجلد ٢٤٧ ص ٩.

(٢) كويلر يونغ: الشرق الأدنى (مجتمعه وثقافته) ص ١٦٠ - ١٦١ - ترجمة د / عبد الرحمن محمد أيوب - سلسلة الألف كتاب - القاهرة.

(٣) سليمان عبد الأمير: تأثير الثقافة الإسلامية في تطور الحضارة الغربية - مجلة آفاق الحضارة الإسلامية - العدد ٩ بتاريخ ١٣٨٩ هـ.

(٤) روم لاندو: الإسلام والعرب ص ٢٤٥ - ٢٤٦ - ترجمة منير البعلبكي.

أن نعترف اليوم بأن ذلك من عمل العرب وحدهم، وقد أيد هذا الرأي جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب»^(١).

ويقول مارسيل بوازار Marcel الأمين العام لـ «جمعية الإسلام والغرب»: «الموضوعية التاريخية بل العدالة البسيطة؛ تقتضي التذكير بأن الحضارة التي احتضنت الثقافة في البحر الأبيض المتوسط طوال سبعة قرون من العصور الوسطى؛ هي حضارة الإسلام، وقد أصبح معظم الكتاب اليوم يعترفون بهذه الحقيقة، وبذلك فإن أغلبية من يتحدث عن نشأة القانون الدولي في مداه الإنساني وكذلك الخلق الأممي؛ لا يشيرون إلا لمآماً لمساهمة الفكر الإسلامي في بلورة هذا العطاء الغامر، أليس الإسلام - مع ذلك - هو الذي تبنى وترجم وشرح معطيات القدامى مع تطعيمها ببصمات عبقريته الخاصة قبل نقلها إلى الغرب المسيحي؟ ألم يكن ابن رشد وابن سينا - من بين الكثيرين من أمثالهم - هما اللذان تبوءا المكانة العليا في تلقين بدائع الفكر للأجيال الأوروبية؟»^(٢).

ويقول المستشرق الفرنسي كارادي: «إن التقاليد المعرفية لثقافة الإسلام؛ حفظت وأكملت مختلف فروع العلم، وصانت روح البحث العلمي حياةً تائقةً للتححر والحركة، متهيئةً للمكتشفات المقبلة»^(٣).

(١) غوستاف لوبون: حضارة العرب، ترجمة د. عادل زعير - ص ٤٣٥.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله: إنسية الإسلام، مقال مقتبس من كتابه: «الإسلام والخلق العالمي» «L' Islam et la morale universelle»، منشور بمجلة التاريخ العربي المغربية ج ١ ص ٩٥٧ وما بعدها.

(٣) سليمان عبد الأمير: تأثير الثقافة الإسلامية في تطور الحضارة الغربية - مجلة آفاق الحضارة الإسلامية - العدد ٩ بتاريخ ١٣٨٩ هـ نقلاً عن توماس أرنولد: تراث الإسلام ص ٥٦٣ وما بعدها.

ويقول موريس بوكاي: «كم هي كثيرة تلك المخطوطات القديمة التي وصلت إلينا بواسطة الأدباء العرب، ناقلة بذلك الثقافة إلى البلاد المفتوحة، وكم نحن مدينون للثقافة العربية في الرياضيات (فالجبر عربي) وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النباتات والطب إلى غير ذلك، لقد اتخذ العلم لأول مرة صفةً عالميةً في جامعات العصر الوسيط الإسلامية، في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثراً بالروح الدينية مما هم عليه في عصرنا، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا في آنٍ واحدٍ مؤمنين وعلماء»^(١).

وما زال التأثير بالثقافة الإسلامية قائماً لآن - وبخاصة في مجال العلم التجريبي - رغم تراجع دور المسلمين في هذا الشأن، والعلماء الذين يقبلون على الإسلام كل حين بعد تأثرهم بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم خير شاهد على ذلك.

تأثير وتأثر الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى في العصر الحديث:

مع بداية العصر الحديث؛ أقبل المستشرقون على دراسة الإسلام وعلومه، ورغم أنهم أقبلوا على هذا العمل لدواعي خاصة بهم وبالذول التي ينتمون إليها؛ إلا أن جهدهم كان له فضل كبير في إثراء الثقافة الإسلامية، حيث أضافوا إليها مئات المصنفات في مجالات الإسلام المختلفة، وحققوا كثيراً من كتب تراث الإسلام الدينية واللغوية والأدبية والتاريخية، كما أن الكثيرين منهم تشبعوا بالروح الإسلامية فأسلم بعضهم، ومن لم يسلم أمضى عمره ووقته

(١) موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٤٧.

وجهدته في الدفاع عنه أمام الكائدين المعاندين له، وهذا لا يمنع من وجود طائفة من هؤلاء المستشرقين الذين غلبت عليهم الأهواء، وكانوا يوظفون كتاباتهم لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، بتحريف الكلم عن مواضعه، وتعميم الروايات الشاذة أو الضعيفة، وبناء أحكامهم على المسلمين من خلالها، إلا أن ذلك لا يقدر في جهودهم في خدمة العلوم الإسلامية والعربية، ونمو حركة التأثير والتأثر بين الثقافة الإسلامية وغيرها من الثقافات.

ثم جاءت البعثات العلمية للطلاب العرب إلى الغرب، واستقدام الأساتذة الأجانب للتدريس في الجامعات العربية بعد افتتاحها، وازدهار الترجمة إلى العربية مرة أخرى؛ لتزيد من تلاقي الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى المتنوعة، ورغم توجُّس بعض علماء الإسلام - وقتها - من هذا الأمر؛ إلا أن الفائدة كانت كبيرة، ويكفي أن نعرف أن جيل الصحوة الإسلامية الذي جاء بعد فترة الجمود في العالم الإسلامي خلال القرنين الأخيرين من حكم الدولة العثمانية؛ جاء بعد الانفتاح على الغرب وعلومه، كما أن طائفة كبيرة من الطلبة المبعوثين للغرب؛ كان لهم دور كبير في إثراء الثقافة الإسلامية؛ من خلال تزويدها بالمعارف الجديدة، أو نقل الثقافة الإسلامية نفسها إلى الدول التي بُعثوا إليها، من خلال احتكاكهم بأساتذتهم وزملائهم في الدراسة، مع عدم إنكار وجود طائفة أخرى منهم كان لها دور سلبي، ولم تجلب من الغرب إلا مساوئه، وهذا التأثير والتأثر بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى؛ لن ينتهي، بل سيزداد يوماً بعد يوم نتيجة الطفرة التي حصلت في وسائل الاتصال، وجعلت من العالم كله كأنه حارة واحدة وليس قرية كما كان يقال، والمسؤولية الكبرى على علماء الإسلام ودعاته ومفكره في محاولة توظيف هذا التلاقي أو التأثير، توظيفاً يفيد الإسلام والمسلمين، مع تجنب الآثار السلبية له على مستوى الفرد والمجتمع.

نتائج وتوصيات البحث:

- على معشر المسلمين ألا يخشوا من الانفتاح على ثقافة الآخرين وعلومهم؛ لأن الانفتاح على ثقافة الآخرين في الماضي؛ ساعد على سرعة نهضة المسلمين وتطورهم في زمن قياسي، وإن تمسك المسلمين الأوائل بتعاليم دينهم ومحافظتهم على سلامة ونقاء عقيدتهم؛ لم يمنعهم من الاستفادة مما عند الآخرين أيًا كانت ملَّتْهم.

- عندما نتكلم عن الانفتاح على ثقافة الآخرين؛ علينا أن نفرق بين الثقافة العامة التي تصلح لكل الشعوب وبين الأخلاق والعادات والتقاليد والسلوكيات والمعتقدات الخاصة بكل شعب، فليس الأخذ والاقْتباس من ثقافة الغير معناه أن نتأثر بعاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وسلوكياتهم ومعتقداتهم الدينية؛ لأن هذه ثقافة خاصة بغيرنا ولا تتلاءم مع تعاليم الإسلام، ولذلك يجب على علماء الأمة ومصلحيها أن يوضحوا الفرق بين الثقافة العامة أو المشاعة التي يمكن نقلها من أي مجتمع، وبين الثقافة الخاصة أو المحلية التي لا يصح نقلها لا عند المسلمين ولا عند غيرهم ممن يعتزون بأنفسهم، فالمسلمون في العصر العباسي لم ينقلوا عن الأمم الأخرى ثقافة الوثنية التي كانوا يعتقدونها، كما أن علماء أوروبا في نهاية العصور الوسطى لما نقلوا عن المسلمين؛ لم ينقلوا عنهم ما كان خاصاً بعقيدة الإسلام وفرائضه، وإنما نقلوا من الثقافة والمعارف الإسلامية ما يناسبهم فقط، وحتى في مجال التشريعات التي نقلوها أو اقتبسوها عن المذهب المالكي في الأندلس وغيرها؛ لم يقتبسوا شيئاً مما يخص أحكام الزواج والطلاق التي لا يؤمنون بها، فالثقافة المحلية المرتبطة بأعراف الناس وتقاليدهم لا يصح نقلها حتى داخل بلدان

العالم الإسلامي المتعددة الأعراق والأجناس.

- إن الاقتباس من الثقافات الأخرى له بعض الآثار السلبية، ولكن ليس من أجل تلك الآثار نحول بين المسلم وبين الاطلاع على ثقافة الآخرين، وإنما نعالج الآثار السيئة التي تنجم عن ذلك أو نقلل منها بقدر الإمكان، ونعمل بقاعدة: ما وجدناه مفيداً أخذناه، وما وجدناه ضاراً رددناه لأهله.

- نحتاج قبل الانفتاح على ثقافة الآخرين؛ أن نحصن أنفسنا عقائدياً وأخلاقياً وفكرياً، وإلا فلن نجني إلا الذوبان في المجتمعات الأخرى، وظهور أجيال لا تعرف لنفسها هويةً تنتمي إليها، ومن ظن أننا نستطيع أن نبني فرداً أو مجتمعاً سوياً في ثقافته عن طريق الاقتباس فقط من الآخرين أو الانفتاح عليهم؛ يكون مخطئاً، لأن المفكرين الأوروبين أنفسهم يرون أن مشعل الحضارة الإسلامية جاء نتيجة الأخذ بالمبادئ القرآنية الخلقية الجوهرية، ثم بالاستفادة من الثقافة المرهفة لبعض الشعوب الأخرى^(١)، ولنا في اليابان عند بداية نهضتها أسوة، إذ اقتبست من ثقافة الغرب ما ساعد على تطورها حتى تفوقت عليه في بعض المجالات، مع المحافظة على موروثها الثقافي وقيمها وعاداتها وتقاليدها.

- إن المسلمين الأوائل لم يكونوا مجرد نقلة، ولكن إضافاتهم للأصول التي نقلوا عنها تشهد بأنهم زادوا وابتكروا، لأنهم «كانوا ينظرون بعين إلى الثقافة اليونانية، وبالعين الأخرى إلى التعاليم الإسلامية»^(٢).

(١) وهذا ما أكده العالم السوسري «مارسيل بوزار» في كتابه: إنسانية الإسلام ص ١٢.

(٢) د/ توفيق الطويل. الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية: ص ١٥١ - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة - ط سنة ١٩٩٠ م.

- إننا في أمس الحاجة لتوسيع مفهوم الثقافة الإسلامية لدى الشباب، ليتناسب مع شمولية الإسلام بدلاً عن المفهوم الضيق لدى الكثيرين، هذا المفهوم الذي جعلهم يحسبون أن الثقافة الإسلامية تعني فقط الاطلاع على بعض المعارف الدينية، وشيوع هذا المفهوم عندهم؛ حال بينهم وبين المشاركة الإيجابية في قضايا الإنسانية بالقياس إلى غيرهم، وهذا يقع عبؤه على المفكرين من العلماء الذين حملهم الله الأمانة.

أهم المصادر والمراجع التي وردت في ثنايا البحث:

- أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر العربية القديمة:

- أبو السعادات (المبارك بن محمد الجزري): النهاية في غريب الأثر - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي - المكتبة العلمية - بيروت - ط سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

- البستي (أبو حاتم التميمي محمد بن حبان): صحيح ابن حبان - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ سنة ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت.

- ابن تيمية (تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم): رسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه - تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم - مكتبة ابن تيمية.

- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - دار صادر - بيروت - ط ١ سنة ١٣٥٨ هـ، وتلبيس إبليس - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - ط ١ سنة ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): المقدمة - تحقيق: عبد الله محمد الدرويش - دار يعرب - ط سنة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان - تحقيق: إحسان عباس دار صادر - بيروت.

- ابن رجب الحنبلي (عبد الرحمن بن أحمد): الاستخراج لأحكام الخراج - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ.
- ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي): المحكم والمحيط الأعظم - تحقيق عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط سنة ٢٠٠٠ م.
- ابن سينا (أبو علي الحسين بن علي): القانون في الطب - تحقيق محمد أمين الضناوي.
- ابن عادل الدمشقي (أبو حفص عمر بن علي): اللباب في علوم الكتاب - تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ سنة ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م.
- ابن عبد الحَكَم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله): فتوح مصر وأخبارها - تحقيق: محمد الحجيري - دار الفكر - بيروت - ط ١ - سنة ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- ابن العبري (غوريغوريوس بن أهرون): تاريخ مختصر الدول - دار الرائد اللبناني ط ٢ سنة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد بن فارس): معجم مقاييس اللغة - عبد السلام محمد هارون - دار الفكر - ط سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل): البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي - ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ.

- ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب - دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى.
- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق): الفهرست - دار المعرفة - بيروت - ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين): المدخل إلى السنن الكبرى - تحقيق د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي - دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت.
- البيهقي (أبو الحسن ظهير الدين علي بن زيد): تتمه صوان الحكمة - دار الفكر - بيروت.
- الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى): الجامع الصحيح سنن الترمذي - تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - ط ٩ سنة ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.
- السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي): طبقات الشافعية الكبرى - تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو - دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ط ٢ - سنة ١٤١٣هـ.
- السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله): الروض الأنف في السيرة، دار الكتب الإسلامية، ط سنة ١٩٦٧م.

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): شرح سنن ابن ماجه - الناشر: قديمي كتب خانة - كراتشي.
- الشافعي (أبو عبد الله محمد بن إدريس): مسند الشافعي - دار الكتب العلمية - دار الكتب العلمية - بيروت.
- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك): الوافي بالوفيات - تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى - دار إحياء التراث - بيروت - ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد الطوسي): تهافت الفلاسفة - تحقيق: د. سليمان دنيا - دار المعارف - القاهرة - ط ٦.
- القزويني (أبو عبد الله محمد بن يزيد): سنن ابن ماجه - تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر - بيروت.
- القضاعي (أبو عبد الله محمد بن سلامة): مسند الشهاب - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ سنة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.
- القفطي (جمال الدين علي بن يوسف): إخبار العلماء بأخبار الحكماء - مطبعة السادة - مصر سنة ١٣٢٦ هـ.
- القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشا - تحقيق: د. يوسف علي طويل - دار الفكر - دمشق - ط ١ سنة ١٩٨٧، ومآثر الإنافة في معالم الخلافة - تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية - سنة ١٩٨٥ م.

- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد): الأحكام السلطانية - دار الحديث - القاهرة.

- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين): مروج الذهب ومعادن الجوهر - دار الهجرة - ط سنة ١٤٠٩ هـ.

- المناوي (محمد بن عبد الرؤوف): التوقيف على مهمات التعاريف - تحقيق: د. محمد رضوان الداية - دار الفكر المعاصر - بيروت - ط سنة ١٤١٠ هـ، وفيض القدير شرح الجامع الصغير - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة - ط سنة ١٣٥٦ هـ.

- الهاشمي (أحمد بن إبراهيم بن مصطفى): جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب - دار المعرفة للطباعة والنشر.

- الهوريني (أبو الوفاء نصر بن يونس): مطالع النصرية في الأصول الخطية، المطبعة الأميرية ببولاق ط سنة ١٣٠٢ هـ.

ثالثاً: المراجع العربية الحديثة والمترجمة:

- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط - دار الدعوة - بدون تاريخ.

- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - دار إحياء التراث العربي بيروت.

- د. توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة - ط سنة ١٩٩٠ م.

- د. حليلة الغراري: بُناة الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية - ط ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م - إيسيسكو.

- خير الدين الزركلي: الأعلام - دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشرة - سنة ٢٠٠٢ م.
- روم لاندو: الإسلام والعرب - ترجمة منير البعلبكي - ط ٢ - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٧٧ م.
- زغريد هونكه: شمس العرب تسطع علي الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي - نشر دار الجيل - بيروت - ط ٨ - سنة ١٤١٣ هـ.
- السير توماس .و. أرنولد: الدعوة إلى الإسلام - ترجمة د. حسن إبراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية - ط ١ سنة ١٩٤٧ م.
- سليمان عبد الأمير: تأثير الثقافة الإسلامية في تطور الحضارة الغربية - مجلة آفاق الحضارة الإسلامية - العدد ٩ بتاريخ ١٣٨٩ هـ.
- د. شوقي ضيف: تأثير الثقافة العربية في الثقافة الغربية الحديثة - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المجلد ٢٤٧.
- عبد العزيز بن عبد الله: معلمة الفقه المالكي - دار الغرب الإسلامي - ط ١ سنة ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م.
- د. عبد العزيز بن عثمان التويجري: «الثقافة العربية الإسلامية وعلاقتها بالثقافات الأخرى»، صحيفة الحياة السعودية - العدد ١٢٨١٤.
- د. عماد الدين خليل: قالوا عن الإسلام - إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي - الرياض، ط ١ - سنة ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
- عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين - دار إحياء التراث العربي.

- غوستاف لوبون: حضارة العرب - ترجمة عادل زعيتر - نشر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- د. محمد السيد علي بلاسي: تاريخ العلم عند المسلمين - بحث منشور بمجلة التاريخ العربي المغربية.
- محمد عبد الحي الكتاني: نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية - دار الأرقم - ط ٢.
- د. محمود محمد الحويري: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام - دار المعارف - سنة ١٩٧٩ م.
- موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - الطبعة الثانية.
- د. نيقولا دوبريشان: الثقافة العربية جزء لا يتجزأ من الحضارة العالمية - مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- ول ديورانت: قصة الحضارة - ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين - نشر دار الجيل - بيروت - لبنان.